

رواية فسحة للجنون لسعد محمد رحيم

أزمة هيمنة طبقة مستفحلة



حميد الحريزي

النحف

هناك فسحة للأمل ، فسحة للتامل ، فسحة للتفكير ، فسحة للحب ... فالفسحة زمن هدوء واخذ نفس من مشاوير الإنسان الراكضة دوما ، من أجل هدف أو من دون أن يعرف الى أين ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ لكن ان تكون هناك فسحة للجنون ، فهذا امر يكاد ان يكون مستحيلا ، او من وحي خيال مريض وغير حكيم بالنسبة لإنسان في وضع مستريح يعيش ببديهيات عيش الإنسان في عالم مفترض ، خارج حدود حياة الغاب ، خارج زمن الوحشية واللامعقول ، خارج بيانات السرسيالية ، وكل ممارسات الدائنية ...

فأي عالم هذا ؟ وأي واقع هذا ؟ وأي حكم هذا ؟ الذي لا يترك للإنسان أي فسحة مما تحدثنا عنه ، ولا يترك له إلا فسحة للجنون ؟

لا تذهبوا بعيدا ولا يشطج بكم الخيال في مهامات الاستذكار ، فليس هذا الحال من نسج خيال جامح ، او تشكل من السرد الغرائبي ، او العجائبي ، هذا الواقع ليس من جزيرة معزولة في الواقع ، بل هو اكتشاف ماركو بولو العصر ((سعد محمد رحيم)) ، انما هو واقع حقيقي معاش في بلد يفخر ناس أنهم اصحاب اعرق حضارة في التاريخ ، واصحاب اول مدونة قانونية تحفظ للإنسان حقوقه وواجباته انه :-

هل هذه المعلومة صادمة ، ربما بالنسبة لكم رعاية الحضارة ورافعي راية الديمقراطية بيد ، ومجهزي الفاشست بأسلحته باليد الأخرى ...

فقد تم تصنيع حكومة ((عراقية)) من قبل الاستعمار البريطاني في منتصف العشرينات من القرن الماضي ، استجابة للانتفاضات الشعبية الواسعة للشعب العراقي وخصوصا ثورة 1920 ولكنها نصبت على عرش المملكة ملكا مستورا منفذا للمصالح / ووضعت صولجان الحكم بيد طبقة من الاقطاعيين وشيوخ العشائر اللذين استأثروا بالمال والسلطة لصالحهم وزمهم في المدينة والريف ... وقد عمل الاستعمار البريطاني والأمريكي بالتعاون مع الرجعية المحلية وشركات الاحتكار البترولي على واد ثورة الرابع عشر من تموز 1958 بعد ان شاعلتها في صراعات داخلية من خلال احتراق قوى الثورة فيما بينها ، حتى جاء انقلاب 8 شباط 1963 الفاشي بدعم ظاهر



سعد محمد رحيم

ضابط الامن ملقبيا في وجهه بديهية يقرها كل فاشي ((انت متفق اذا انت سياسي)) . وبذلك فانت عدو السلطة وان لم تنتقم... جريمته انه قال وهو سكران ان كتاب بريجس دوبريه ((الثورة في الثورة)) ((هذا الكتاب يمكن ان يكون انجيل الثوار في كل مكان)) ص122..

نعم كان هذا الحديث مسجلا على كاسيت من قبل احد طلبة القسم الداخلي ...

هكذا كان عراق القائد الضرورة في ذلك الوقت ، الزميل يتجسس على زميله ، والزوجة تتجسس على زوجها ، والفراس يتجسس على الوزير ، والوزير يتجسس على زميله ، وهكذا المجتمع كله يعمل بعضه ضد بعض الكل في خدمة القائد الاوحد ...

كانت اساليب قوى الامن ابتداء السبل المختلفة مهما كانت لغرض الإيقاع بأي انسان ، ومن ثم تصفيته بطرقهم الجهنمية مصيره الموت او العوق والجنون ... لم يتم اطلاق سراح ((عامر)) الا بعد تاكد مسؤول الامن بانه قد فقد عقله ، ولم يعد يتذكر من هو ، ولا ما جرى معه ...

كانت هذه الاساليب هي وسيلة الطبقة البرجوازية الطفيلية وحليفها بقايا الاقطاع ((الاقطوازية)) لواء وتهميش الطبقة الوسطى التي بدأت تنشط بعد النهضة النسبية لحركة العمل وخصوصا القطاع العام ، بسبب الوفرة المالية البترولية في اواسط السبعينيات ، مما جعلها تطالب بالحكم العرفي من خلال المطالبة بحل مجلس قيادة الثورة وإجراء انتخابات ديمقراطية في البلاد ، مما افزع السلطة وجن جنونها ... ومثالها هنا ((عامر- حكو)) و((نهلة ووالدها)) لتطحنهم مطحنة الفاشية ، بالقوة والقهق ، ولتقضي على جماهيرهم من عامة الشعب بزجهم في حروب عبثية باففعال عدو خارجي فكانت حرب القادسية ضد الجارة ايران ...

يسكن((عامر)) في دار احدهم الحاج ((مرتضى)) ، الذي يقربه من بعيد ، وابنته كميلى ، وشجرة التين... ادمن ((حكو)) هذا اسمه الجديد ((حكمت)) الذي لا يعرف احد لماذا اختاره ، ولكن يبدو في لوعيه يدل على ان الحكمة نقول اما ان تخضع للفاشست او تكون مجنونا ، الجنون هو طريق الخلاص الوحيد لكي لا تنجرف في حروب القائد ، او تكون تحت سياط جلاديه ...

يلتقي صديقة زميل له سابق ((الدكتور راسم حنوش)) ، يعطف عليه كثيرا ، يدرك مساته ، يحاول مساعدته بكل الطرق الممكنة ... تعيش البلاد حربا ضروريا في بداية الثمانينات مع ايران ، اهالي بلدة ((س)) التي يسكنها ، حكمت ، يبدوون بالرحيل منها ، يرفض ((حكو)) الهجر وترك المدينة التي تفرغ من سكانها ، وتقع تحت طائلة سرف الديابات والعجلات العسكرية وجزم الجنود المغلوبين على امرهم ، واللذين كانوا يتعاطفون مع ((حكو)) وثلة اخرى من ((المجانين)) وزمر من الكلاب ، والحمير ، والقطط كانت هدفا للقدائف العمياء ((انهم يقتلون الحمير)) ص ((179)) اتهم تحرقون بيكاسو)) ص 66 هكذا كان ((حكو)) يخاطب الجنود.

كان ((حكو)) يستجدي المال الذي يكفيه فقط لشراء ارغفة الخبر ، وقتنية العرق من ((ميخايل)) في مدينة ((كاف)) التي ارتحل اليها اهل مدينة ((س)) هربا من نيران الحرب ، مدينة ((س)) التي اصبحت صيدا سهلا للصوص والسراق ينهبون المحلات والدكاكين ، والبيوت المتروكة ، لا يطاردهم سوى ((حكو)) وثلة ((المجانين)) من امثاله ...

هكذا هو الحال مدينة بهجرها اهلها ولا يتمسك بها ويحافظ عليها سوى ((المجانين))..

الديكتاتور ليهدد كرامة الاخرين إلا بعد ان يسحق كرامة مواطنيه:-

قتل الحب - فراق عامر ونهله - جنون المعارض الواعي وموته - عامر ، حكو ، قتل الثقافة ، احراق الكتب ، فقدان الامن ، اطلاق يد اللصوص والحرامية ، ضياع الثروة المادية والبشرية ، وقتل الشباب ، قتل الحياة الحيوان والنبات -قتل الحمير والكلاب وموت شجرة التين واحترق رؤوس النخيل ...لم تعد في باحة الدار ارجوحة ، موت ((المجانين والمهمشين)) -عبودي ، حسون ، راهي وحكو ...

عبر كل هذا يعرض لنا الروائي الفطن حال المجتمع العراقي في ظل حكم الفاشية وحروبها العدوانية...

اسلوب شيق

يعرض لنا بأسلوب شيق ما يجري في المدينة ((س)) قبل الحرب وما بعدها مسلطا الضوء بالخصوص على جمهرة ((المهمشين)) من المجتمع التي دوما مادة الانتفاضات والثورات ولكنها لا تصل الى ماتريد حيث تسرق ثورتها وانتفاضاتها بسبب ضعف وسائلها وهشاشتها تنظيماتها ((المهمشون ثوريون)) المنظمة التي كان يمكن لها ان تزحزح المركز وتحل محله ، فقد اكتفت بالاحتجاج غير المنظم ، لكن المركز استطاع ان يقضي على ثورتها ويعيدها ثانية للهاشم)).. هويدا صالح -الهامش الاجتماعي في الاب ص 195. ط 2015 ا.دار رؤيا للطباعة والنشر .

ولا يفوتنا هنا ان نشير الى ان الغلبة الفاشية ، بالقوة والقهق ، ولتقضي على جماهيرهم من عامة الشعب بزجهم في حروب عبثية باففعال عدو خارجي فكانت حرب القادسية ضد الجارة ايران ... يسكن((عامر)) في دار احدهم الحاج ((مرتضى)) ، الذي يقربه من بعيد ، وابنته كميلى ، وشجرة التين... ادمن ((حكو)) هذا اسمه الجديد ((حكمت)) الذي لا يعرف احد لماذا اختاره ، ولكن يبدو في لوعيه يدل على ان الحكمة نقول اما ان تخضع للفاشست او تكون مجنونا ، الجنون هو طريق الخلاص الوحيد لكي لا تنجرف في حروب القائد ، او تكون تحت سياط جلاديه ...

يلتقي صديقة زميل له سابق ((الدكتور راسم حنوش)) ، يعطف عليه كثيرا ، يدرك مساته ، يحاول مساعدته بكل الطرق الممكنة ... تعيش البلاد حربا ضروريا في بداية الثمانينات مع ايران ، اهالي بلدة ((س)) التي يسكنها ، حكمت ، يبدوون بالرحيل منها ، يرفض ((حكو)) الهجر وترك المدينة التي تفرغ من سكانها ، وتقع تحت طائلة سرف الديابات والعجلات العسكرية وجزم الجنود المغلوبين على امرهم ، واللذين كانوا يتعاطفون مع ((حكو)) وثلة اخرى من ((المجانين)) وزمر من الكلاب ، والحمير ، والقطط كانت هدفا للقدائف العمياء ((انهم يقتلون الحمير)) ص ((179)) اتهم تحرقون بيكاسو)) ص 66 هكذا كان ((حكو)) يخاطب الجنود.

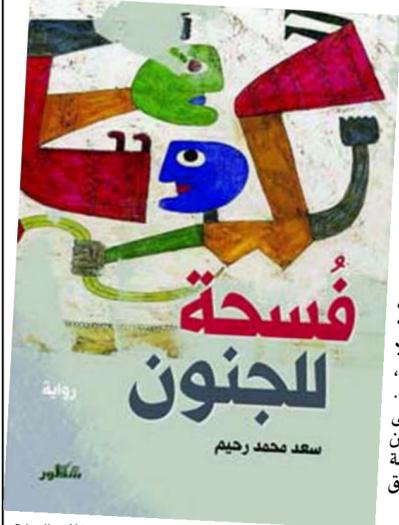
كان ((حكو)) يستجدي المال الذي يكفيه فقط لشراء ارغفة الخبر ، وقتنية العرق من ((ميخايل)) في مدينة ((كاف)) التي ارتحل اليها اهل مدينة ((س)) هربا من نيران الحرب ، مدينة ((س)) التي اصبحت صيدا سهلا للصوص والسراق ينهبون المحلات والدكاكين ، والبيوت المتروكة ، لا يطاردهم سوى ((حكو)) وثلة ((المجانين)) من امثاله ...

هكذا هو الحال مدينة بهجرها اهلها ولا يتمسك بها ويحافظ عليها سوى ((المجانين))..

الديكتاتور ليهدد كرامة الاخرين إلا بعد ان يسحق كرامة مواطنيه:-

قتل الحب - فراق عامر ونهله - جنون المعارض الواعي وموته - عامر ، حكو ، قتل الثقافة ، احراق الكتب ، فقدان الامن ، اطلاق يد اللصوص والحرامية ، ضياع الثروة المادية والبشرية ، وقتل الشباب ، قتل الحياة الحيوان والنبات -قتل الحمير والكلاب وموت شجرة التين واحترق رؤوس النخيل ...لم تعد في باحة الدار ارجوحة ، موت ((المجانين والمهمشين)) -عبودي ، حسون ، راهي وحكو ...

عبر كل هذا يعرض لنا الروائي الفطن حال المجتمع العراقي في ظل حكم الفاشية وحروبها العدوانية...



غلاف الرواية

خلقتها ظروف ذاتية وموضوعية ، حيث تم خلق كل تطلع للطبقة البرجوازية الوطنية المنتجة من قبل قوى الاحتلال والاستعمار الخارجي ، وقتل تطلعات الطبقة المتوسطة نحو الحرية والديمقراطية وبناء دولة المواطن ، وتهميش القوى العاملة وتدمير قوى العمل ، وإغراق المجتمع في نزعة استهلاكية غير منتجة ، بالاغتراب على ربع الثروة البترولية مما مكن ((الاقطوازية)) المحلية من تصديد نفسها بالتخادم مع قوى الرأسمال العالمي ، واقتعال الزبامات الداخلية والخارجية لتبرير قراراتها ونهجها القمعي لمواجهة عدو متربص في الداخل والخارج ، في عهود الديكتاتورية والتي لازالت الحال في تربي مستمر في عصر الديمقراطية ...

كان الروائي واعيا لمجريات الصراع الاجتماعي والسياسي في بلده ومجتمعه ، مسجلا هذه الاحداث بعين كامرة ذكية فلنلة ، بأسلوب فني ابداعي بعيدا عن السرد التقرييري المباشر ، وهذه مهمة صعبة لا يتمكن من انجازها إلا ادب متمكن ، وروائي يملك تجربة فنية في السرد الروائي . فقد امسك سعد محمد رحيم بخور السرد من قربه ، متمكنا من توجيهه حسب متطلبات العمل الروائي الابداعي ، وقد كان واعيا ووفيا للواقع المعاش ، متمكنا من ضبط حركة ومكان وزمان الحدث ، نافذا الى روح الشخصية وحواراتها وعواملها الداخلية ، متاملا ، متفكرا ، وقد كان مصحبا تماما لنضاض قلبه قبل ان يشرع في كتابة روايته فكانت مولودا حيا جميلا دالا ومعبر اصق تعبير قبضتها على الوطن والمواطن بقوة الحديد والنار والعفن المرط ، لانها تعيش ازمتها البنيوية ، لانها مغتصبة للسلطة ، وتعيش أزمة هيمنة طبقية مستفحلة ،

كانت هذه الاساليب هي وسيلة الطبقة البرجوازية الطفيلية وحليفها بقايا الاقطاع ((الاقطوازية)) لواء وتهميش الطبقة الوسطى التي بدأت تنشط بعد النهضة النسبية لحركة العمل وخصوصا القطاع العام ، بسبب الوفرة المالية البترولية في اواسط السبعينيات ، مما جعلها تطالب بالديمقراطية وخروج البلد من الحكم العرفي من خلال المطالبة بحل مجلس قيادة الثورة وإجراء انتخابات ديمقراطية في البلاد ، مما افزع السلطة وجن جنونها ... ومثالها هنا ((عامر- حكو)) و((نهلة ووالدها)) لتطحنهم مطحنة الفاشية ، بالقوة والقهق ، ولتقضي على جماهيرهم من عامة الشعب بزجهم في حروب عبثية باففعال عدو خارجي فكانت حرب القادسية ضد الجارة ايران ...

يسكن((عامر)) في دار احدهم الحاج ((مرتضى)) ، الذي يقربه من بعيد ، وابنته كميلى ، وشجرة التين... ادمن ((حكو)) هذا اسمه الجديد ((حكمت)) الذي لا يعرف احد لماذا اختاره ، ولكن يبدو في لوعيه يدل على ان الحكمة نقول ما ان تخضع للفاشست او تكون مجنونا ، الجنون هو طريق الخلاص الوحيد لكي لا تنجرف في حروب القائد ، او تكون تحت سياط جلاديه ...

يلتقي صديقة زميل له سابق ((الدكتور راسم حنوش)) ، يعطف عليه كثيرا ، يدرك مساته ، يحاول مساعدته بكل الطرق الممكنة ... تعيش البلاد حربا ضروريا في بداية الثمانينات مع ايران ، اهالي بلدة ((س)) التي يسكنها ، حكمت ، يبدوون بالرحيل منها ، يرفض ((حكو)) الهجر وترك المدينة التي تفرغ من سكانها ، وتقع تحت طائلة سرف الديابات والعجلات العسكرية وجزم الجنود المغلوبين على امرهم ، واللذين كانوا يتعاطفون مع ((حكو)) وثلة اخرى من ((المجانين)) وزمر من الكلاب ، والحمير ، والقطط كانت هدفا للقدائف العمياء ((انهم يقتلون الحمير)) ص ((179)) اتهم تحرقون بيكاسو)) ص 66 هكذا كان ((حكو)) يخاطب الجنود.

كان ((حكو)) يستجدي المال الذي يكفيه فقط لشراء ارغفة الخبر ، وقتنية العرق من ((ميخايل)) في مدينة ((كاف)) التي ارتحل اليها اهل مدينة ((س)) هربا من نيران الحرب ، مدينة ((س)) التي اصبحت صيدا سهلا للصوص والسراق ينهبون المحلات والدكاكين ، والبيوت المتروكة ، لا يطاردهم سوى ((حكو)) وثلة ((المجانين)) من امثاله ...

هكذا هو الحال مدينة بهجرها اهلها ولا يتمسك بها ويحافظ عليها سوى ((المجانين))..

الديكتاتور ليهدد كرامة الاخرين إلا بعد ان يسحق كرامة مواطنيه:-

قتل الحب - فراق عامر ونهله - جنون المعارض الواعي وموته - عامر ، حكو ، قتل الثقافة ، احراق الكتب ، فقدان الامن ، اطلاق يد اللصوص والحرامية ، ضياع الثروة المادية والبشرية ، وقتل الشباب ، قتل الحياة الحيوان والنبات -قتل الحمير والكلاب وموت شجرة التين واحترق رؤوس النخيل ...لم تعد في باحة الدار ارجوحة ، موت ((المجانين والمهمشين)) -عبودي ، حسون ، راهي وحكو ...

عبر كل هذا يعرض لنا الروائي الفطن حال المجتمع العراقي في ظل حكم الفاشية وحروبها العدوانية...